(ذم الإسراف)

الحمد لله رب العالمين المتفضل بالإحسان على عباده الغفور الرحيم ، لاإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده.....
ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله القائل : (إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فيقول تعالى : (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا...)

عباد الله المؤمنين : نحن فى نهاية عام هجري سنطوى صفحته بعد أيام والمسلم مطالب بأن يقف مع نفسه وقفة فى نهاية كل عام ليحاسب نفسه على ماقدمه وماصنعه فى عامه هذا ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فليستغفر الله ، فهذه الجمعة الأخيرة في هذا العام الذي أوشك رحيله وفى ذلك عبرة قال تعالى : (يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) ويقول (وتلك الأيام نداولها بين الناس) **ويقول :** (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً) فهذا السير الحثيث يباعد عن الدنيا ويقرب من الآخرة ، يباعدعن دار العمل ويقرب من دار الجزاء ، قال علي كرم الله وجهه : "ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولاتكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولاحساب وغداً حساب ولاعمل" وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) **أي** لايعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس ، والعجب أن بعض الناس يتفقد صحته صباح مساء ولايدخر جهداً ولامالاً في الذهاب إلى الطبيب كلما أحس بعارض ، وفى المقابل تراه غافلاً عن إصلاح قلبه وجوارحه ، وربما يشيب وهو كذلك ، فعلى الإنسان أن يحاسب نفسه دائما حتى فى نفقاته اليومية ، وأن يكون إنفاقه قصدا تمشيا مع حالته الإقتصادية ، وقد صرح القرآن بأن من طبيعة الإنسان الإسرف وتجاوزحدود القصد والإعتدال قال تعالى : (كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أن رَّآهُ اسْتَغْنَى) ولتهذيب الإنسان وتربيته أمر الله تعالى بالقصد في الأمور كلها قال تعالى : (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَتَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً) وقال صلى الله عليه وسلم : (رحم الله امرءًا كسب طيبا ، وأنفق قصدا ، وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته) ، فالإسراف هو الزِّيادة في صرف الأموال على مقدار الحاجة والتَّبذير هو صرف الأموال في غير الحاجة ، **<u>والإسراف أنواع : النوع الأول :</u>** وهو الإسراف فى المعاصي فمن تمادى فى المعصية جرته إلى الكفر كفرعون عندما تمادى فى إسرافه قال تعالى : (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) وعاقبة هذا الصنف من الناس النارخالدين فيها إن لم يتوبوا ويؤمنوا قال تعالى : (وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) والعبد إذا أسرف بالمعصية عليه أن يتوب إلى الله قال تعالى : (قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَالْغَفُورُ الرَّحِيمُ) ومن دعاء الصالحين : (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا) .

النوع الثانى : الإسراف في الإنفاق وتجاوز حد الطلب ، وهذا تبذيرُ منهيٌّ عنه قال تعالى : (وَءاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَاتُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا) كذلك الإسراف فى الصدقة قال تعالى : (وَءاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَايُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) وقال صلى الله عليه وسلم لمن أراد الصدقة عمومًا أوالوقف لينتفع به في الدار الآخرة : (الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يَتَكَفَّفُونَ الناس) .

النوع الثالث : الإسراف في الأكل والشرب وضروريات الحياة ، فمع أن الله أباح لعباده الطيبات من المأكل والمشرب ولكنه نهاهم عن الإسراف وتجاوز الحد لما في ذلك من الضرر عليهم في أبدانهم ودينهم ودنياهم فالطب مجموع في ثلاث كلمات لاغنى للمرء عن أحدها ، ولو خالفها لاعْتَلَّتْ صِحَّتُهُ وقُوَاهُ وربما أوْدَتْ بحياته قال تعالى : (وكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ) وقال صلى الله عليه وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعَاءً شرًا من بَطْنٍ ، بحَسْبُ ابْنِ آدم لُقَيْمَات يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فإن كان لابد فاعلاً فَثُلُثٌ لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِهِ) وقال صلى الله عليه وسلم : (نحن قوم لا نأكلُ حتى نَجُوعَ ، وإذا أكلنا لا نَشْبَعُ) .

لماذا نهى الإسلام عن الإسراف ؟ لم تحرم الشريعة اكتساب الأموال ونماءها والتزود منها ، بل حضت على ذلك ولكنها حرمت الطرق المحرمة في كسبها وإنفاقها ، **كالسفر المحرم :** فما ينفق من أموال على السفر إلى أماكن اللهو والنزهة ليعدل ميزانيات دول كاملة ، وما ينفق على حفلات الأعراس لينقذ الآلاف من الفقر والطعام الذى يلقى فى النفايات يساهم في إنقاذ الملايين ممن يموتون جوعاً ، وفي كل عام يموت الآلاف من البشر جوعاً ، ولقد أصبح الإسرف في العصور المتأخرة ظاهرة عامة فصاحب المال يسرف ، والذي لايجد المال يقترض من أجل أن يسرف ويلبي متطلبات أسرته من الكماليات وما لايحتاجون إليه ، وأصبح رب الأسرة المستورة يقترض المال لإقامة حفلة زواج لابنه أوابنته تليق بواقع الناس كما هو حال كثير من الناس اليوم إذ أصبحوا منساقين بلا إرادة ، وفى العالم الآلاف من المسلمين المحرومين الذين لايجدون الطعام ولا الكساء ، ولو لم يوجد مسلم على وجه الأرض يحتاج إلى جزء من مالك فلايجوز لك أن تسرف فى مالك ، فكيف والمسلمون في كل يوم يموت منهم المئات من جراء التجويع والحصار والحرمان ؟ .

إن عدم القصد فى الإنفاق قد يكون سبباً للعقوبة وزوال الأموال فكم من أسر افتقرت من بعد الغنى ؟ وكم من رجال أعمال أعلنوا الإفلاس ولم يستطيعوا أداء ما عليهم من ديون ؟ وكم من دول أسرفت على نفسها فابتلاها الله بالحروب ففقدت كل شيء ؟ قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) ثم بعد ذلك سيسأل الإنسان عن كل هذا أمام الله يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَن تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكتَسَبه وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فيه) والإسراف يُخْشَى على الجميع منه لأن فتنته وضرره سيصل للجميع كما قال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) فعلى كل مسلم محاربة مجالس الإسراف بعدم المشاركة فيها ، وإلا فعليه إثم لرضاه بها قال تعالى :

(وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

فأكثروا معشرالمسلمين من التوبة فقال صلى الله عليه وسلم :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)